الأنماط الفولكلورية ودلالة المثل الشعبي في دارفور

د. الطاهر حاج نور أحمد زروق*

المستخلص

تسعى الورقة إلى التعرف على ماهية الأنماط الفولكلورية ودلالة المثل الشعبي بدارفور وتوضيح مفاهيمه واستخداماته في الحياة اليومية بدارفور. حيث يعتمد عليه في بسط الحقائق ومناقشة القضايا والمشاكل وتدعم به الآراء ولا يخلو حديث الناس منه إلا نادراً، وقد تم من خلال هذه الورقة الاستشهاد ببعض من الأمثال الشائعة والعامة، منها ما هو متعلق بالحرف والصناعة والأخلاق والقيم ومنها ما هو متعلق بالإنسان والحيوان وكلها تعابير نمطية فرضتها البيئة وما حولها من أنشطة، لعبت دوراً مهماً في تنوع أنماط المثل وتحديد وظائفه الهادفة واتخاذه وسيلة تعليمية نقلت بواسطتها الخبرات والتجارب المعرفية المكتسبة للأجيال الشابة.

Abstract

* جامعة زالنجي.

This paper is intended to identify the nature of the folk patterns and the significance of popular proverb in Darfur, and clarifies its concepts and uses in daily life in Darfur, where it is dependent on to establish the facts, discuss problems and issues, support the opinions, and people always use in their speeches. In this paper, some popular proverbs are taken as examples, some of which are related to crafts, industries, morals and values. Others are related to human being and animals. All of these proverbs are stereotyped expressions imposed by the environment and the surrounding activities that played a pivotal role in diversifying proverb patterns, determining its goals, and taken as an educational means that is transferred through the cognitive experiences obtained for the younger generations.

مقدمة:

مصطلح فولكلور(Folklor) من المصطلحات الحديثة وقد ابتدعه العالم الإنجليزي وليم تومز (William Thoms) عام ١٨٤٦م كبديل للإبداع الشعبي Popular Fiction القديم أو الآثار التي تركها الشعب، وقد صُك هذا المصطلح من كلمتين الأولى (Folk) وتعني الشعب أو الناس والثانية (Lore) وتعني المعرفة أو الحكمة وبهذا يترجم المصطلح إلي أنه يعني حكمة الشعب أو معرفته[١].

كما أن هناك الكثير من التعريفات لعلم الفولكور ساقها كثير من العلماء والمهتمين بشأنه وعلى سبيل المثال نجد أن عبد المجيد عابدين قد عرفه بأنه:العلم الذي يتناول بالتسجيل والتحليل والدراسة ما توارثته الشعوب منذ عهود عتيقة وبقى حياً في استعمالها في فنونه قولية وممارسات ومعتقدات في لغة ذات صلة وثيقة بالحياة الجارية[٢].

وعلى الرغم من حداثة علم الفولكور في السودان إلا أنه تأثر ببعض أوجه أداء الفولكورات الكلاسيكية وأهمها دراسة علم الفولكور في المجتمعات الريفية أو البدائية مع إهمال تام للمجتمعات المدنية ومناطق الإنتاج الحديث بشكل عام[٣].

يعتبر المثل الشعبي من أكثر الأنماط الفولكورية التي نالت اهتماماً بالغاً من قبل الباحثين وقد حظى بدراسة واسعة رغم صعوب جمع الأمثال الشعبية

قياساً بالاشكال التعبيرية الأخرى. لذا فإن المثل الشعبي الأكثر استخداماً وحفظاً وتداولاً وتميزا في حديث الناس ويرد بصورة عفوية كلما توافرت له الشروط والبيئة المناسبة لضربه[٤]. خاصة وأن ضرب المثل الشعبي يتأثر بالدور الوظيفي الذي يستند على النظرية الوظيفية والتي تقول (وجوب دراسة الظواهر الثقافية والاجتماعية من حيث الوظيفة التي تؤديها). وفي علم الفولكور(هو دراسة التراث الشعبي وبالتحديد المثل الشعبي الذي تحتضنها دواخله الأطر الاجتماعية والثقافية وغيرها التي تدرسها النظرية أو يمكن تطبيقها عليها (فقد أصبح مدلول كلمة وظيفة يغطي في آن واحد الروابط القائمة بين العناصر الثقافية المتمثلة في المجتمع والبيئة والإنسان[٥]. وقد يعمم مدلول الكلمة ليشمل فولكور المدينة أو الفولكور الحضري وهو ذلك الضرب من الموروث الشعبي أو الفولكور الذي تنتجه البيئة الحضرية من حيث هي كيان مندمج ومتجانس، وواعي بذاته وبهويته السوسيولوجية الجامعة لدرجة تكثر أو تقل وليس من حيث هو هو مركب فسيفسائي التكوين لكيانات أثنية متميزة بعضها عن بعض قدر لها مجرد التساكن والتعايش في جوار جغرافي واحد[٦].

ويعتبر المثل الشعبي مفردة من مفردات الأدب الشعبي الذي يستصحب الماضي ويقتفي أثره مؤدياً بذلك عددا من الوظائف الاجتماعية [7]. وهنالك العديد من التصنيفات للأدب الشعبي كتصنيف رشدي صالح*، كأقدم تصنيف للأدب الشعبي فقد صنفه تصنيفاً ثقافياً، بدأه بالمثل واللغز والنداء والنادرة والحكاية والسيرة والتمثيلية التقليدية والأغنية ثم ختمها بالموال.

أما نبيلة إبراهيم فقد صنفت الأدب الشعبي في كتابها أشكال التعبير في الأدب الشعبي إلي ستة أنواع أولها: الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية والأسطورة بشقيها الأسطورة الكونية واسطورة الأخيار والأشرار والمثل واللغز في الكناية[٨] ويعزى كل ذلك التصنيف النوعي للأنماط الفولكورية لكثرة استخدام المثل الشعبي وسهوله حفظه وتداوله واتساع دائرة انتشاره بين الناس لا سيما وأن المثل الشعبي يشكل حضوراً فاعلاً في حديث الناس اليومي ويرد بصورة عفوية على الرأي الأخر كلما توافرت له الشروط المناسبة والمنطقية. وقد يرد في بداية الكلام ويكون بمثابة افتتاحية هـ وقد يتوسطه ويكون اداة ربط له وقد يرد في نهايته ويكون خاتمة له. والمناسبة التي يورد فيها المثل هي التي تكسبه موضوعيته وتمنح الصفة المنطقية[٩]. لضرورة ضربه ويحقق من خلالها دوره ووظيفته ويؤكد استمراريته لأنماطه الفولكورية ولأصوله الثقافية ويقصد بالأنماط الفولكورية هنا الوظائف التي يؤديه المثل الشعبي بتقسيماته وأنواعه المختلفة المنصبة في حقل الفولكور والتي تنبع من التشكل البيئي والحرفي للوضع الذي يشكل حياة المجتمعات ومكوناتها المختلفة وتجانسها مع الفعل الثقافي والاجتاعي وفقاً لمقومات الفولكور كاللغة والتداول وشفافية النص وروح الجماعة والتعبير الفني ومجهولية المؤلف[١٠] وفي هذا الصدد يذكر عبد الله الشيخ البشير (... بأن العروبة السودانية تحتضن أنماط فولكلورية وأمثال شعبية) ويقصد بالنمط الفولكلوري هنا الشعر الشعبي والمثل الشعبي وما يجري مجرى المثل إلي جانب الخرافة والمعتقد الشعبي[١١]. ومهما اختلفت الآراء حول المثل الشعبي فقد صار من المتعارف عليه عند معظم الفولكوريين أنه من الفنون القومية المتوارثة ولا تخلو ثقافة منه لأي شعب من الشعوب وهو قول قصير متسق لا يخلو من الفطنة

والذكاء. كما بات من المتفق عليه أيضاً أن أصل المثل الشعبي مبهم وغير محدد، ذلك أنه ليس بالإمكان معرفة أول من قاله أو قام بتأليفه. غير أنه لا بد أن يكون قد نطق به فرد معين، في زمان ومكان معينين. ثم تناقله الناس وانتشر بينهم. أي أن الصفة الكلامية التي تعتبر مثلاً تمر بمراحل معينة تبدأ بصورة فردة وتتداول في ألسنة الناس حتى تأخذ الطابع الجماعي[١٢]. ويضيف سليمان يحي إلي أن كلمة مثل مشتقة من اللغة اليونانية للدلالة على معنى الكلمة العبرية (مسل) والآرامية (مثله) والأمهرية (مسل) والأكادية (مسلوم) وقد استخدمت الكلمة للدلالة على معنيين الأول المماثلة والمشابهة والثاني بمعنى الحكم والسيطرة والسيادة والتي في مصطلح الأدب هو القول السائر الممثل بضربه، أي الشبه حاله ضربه بحالة مماثلة، وبذلك هو استعارة تمثيلية مبينة على التشبيه المركب. وإرتبط المثل بالحكمة وقد ورد لدى الكثير من المحدثين عن الأمثال أن الحكمة مقصد من مقاصد المثل وغرض من أغراضه. وعادة ما تورد الحكمة في مناسبة بعينها وتسمى في الفولكور ب(ما يجري مجرى المثل) أما المثل فيرد بصورة لغوية في أحاديث الناس. أما من حيث الخصائص الفنية فهو قول مختصر وذكي وموثق ومحكم البناء. وتلعب البيئة الثقافية دوراً مهماً في تطابق أو اختلاف الأمثال الشعبية. ففي دارفور مثلاً بها بعض الاختلافات كما هو الحال في السودان الأوسط وفي شرق السودان. كما تتميز الأمثال بدقة التصوير وبراعة التعبير عن كثير من القيم الاخلاقية للمجتمع وربما يعزى ذلك لحب الناس للتشبيه الوصفي واللفظي، وعلى ذلك يمكن قياس بعض الإختلافات بين المناطق المختلفة في جهات السودان وولاياته المختلفة إلا أن الدور الوظيفي للمثل يظل متشابها، وهذا يتفق مع القول بأن البيئة الثقافية هي التي تتحكم في

مضمون المثل الشعبي وصياغته في القوالب الفنية التي تلائمه مما يجعل المثل الشعبي انعكاساً لواقع البيئة التي صاغته بنفس اللغة المتداولة في تلك البيئة، حتى يكون للمثل الشعب دور وظيفي تعليمي ينقل التجارب الحيوية المكتسبة من جيل لآخر لغرس القيم الفاضلة في النفوس عبر التوجيه والإرشاد والحض على التكاتف والنصرة. غير أن أصل المثل الشعبي ظل مبهما وغير محدد لأنه ليس بالإمكان معرفة أول من قال أو قام بتأليفه. ولكن لابد أن يكون قد نطق به فرد معين في زمان ومكان معينين ثم تناقله الناس وانتشر بينهم فصار مثلاً بين الناس يعرفه الجاهل والعالم كقول ابن عبد ربه في العقد الفريد (إن الأمثال أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شئ مثل مسيرها ولا عم عمومها حتى قيل أسير من مثل).

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والخابر

وقد وردت كلمة الأمثال في القرآن الكريم للتشبيه بغرض التوضيح للآخرين، مثل قوله تعالى (وأضرب لهم مثلاً رجلين) [١٣] وقوله تعالى (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضه فما فوقها)[١٤].

ورود المثل الشعبي وأنماطه التعبيرية:

لم يكن من السهل التسجيل أو الاستماع إلي أنماط فولكورية هي من صميم لغة الخطاب اليومي كالمثل الشعبي أو الحكاية الشعبية وكل ما يقع في داخل الحكاية من أجناس سردية Narratives عبارة عن علاقة قوية تربط بين الفولكور ولغة الخطاب اليومي حيث يرد المثل في سياق الكلام وفق طبيعة وخصوصية الجنس الفولكوري وخاصة ما يجري المثل في جلسة وعند تداول الألفاظ التمثيلية في جلسة واحدة.

ويكون المثل الشعبي أكثر انتشاراً في المجتمعات التي تقل فيها نسبة التعليم وتندرج المجتمعات الرعوية والبدوية ضمن هذه المجتمعات بحكم امتهانها للرعي والترحال خلف (السقيا) بحثاً عن الكلأ والمرعى مما يتيح لها فضاءاً واسعاً يطيب فيه صناعة الأمثال المرتبطة بتجاربهم الحيوية مع الحيوان مما جعل الأخير يدخل في تركيبة المثل الشعبي بحكم العيش المشترك والحميم أحياناً. ويمكن القول أن الأمثال الشعبية التي بها ذكر لأي حيوان أو تم استلهامها من بعض سلوك وطبائع الحيوان (animal behavior) ليست حكراً على المجتمعات الرعوية والبدوية فحسب بل وجدت طريقها لمجتمعات المدن والحضر بفضل قدرتها على الانتشار والذيوع وبسبب أن المجتمعات الرعوية ليست منفصلة عن بقية المجتمع إذ أن أكثر من ٧٠% من سكان السودان يمتهنون الرعي ويمتلكون أنواع من الحيوانات. كما يمكن ترجيح أن المجتمعات التي تعاني من القمع السياسي وتنتهك فيها حرية التعبير تتم فيها الاستعانة بالتعبير المتوارى خلف الأمثال بدلاً عن التعبير المباشر الذي يقود للملاحقات والتضييق وهذا يدل على صلاحية الأمثال لكل المجتمعات، لأن الأخيرة هي مجتمعات النخب وهي بلا شك مجتمعات ترتفع فيها نسبة التعليم[١٥].

دلالة النواحي الوظيفية للمثل الشعبي:

تعرف الدلالة في اصطلاح علم الدلالة في العربية بأنها تركيب إضافي يدل على دلالة الاسم وهذا يظهر على حد قول الباحثين في دلالة الألفاظ والأفكار (أو المعنى) وبينهما ارتباط وثيق بحيث متى ما عرف اللفظ أمكن فهم

معناه ولذلك تلاحظ ثلاثة أمور (الدلالة وهو اللفظ والمدلول، وهو الأفكار والمعنى، وهي العلاقة القائمة بين الألفاظ والأفكار[١٦].

من هنا تكمن الناحية الوظيفية للمثل الشعبي في الدور الذي يلعبه المجتمع والفائدة التي يجنيها الناس من ضربه وهناك بعض الوظائف المهمة للمثل الشعبي تتمثل في اتخاذه وسيلة تعليمية تنال بواسطتها الخبرات والتجارب المعرفية المكتسبة للأجيال الشابة وغرس القيم والمثل والأخلاق الفاضلة في نفوسهم وتربيتهم وتوجيه سلوكهم، وربطهم بماضيهم وماضي أجدادهم كما يفيد في التوجيه والنصح والإرشاد والنقد والتحذير وضبط السلوك الاجتماعي، ودعم كيان المجتمع وتقوية روابطه الأسرية، وحض أفراده على التكاتف والتعاون والنصرة، ونبذ كل ما يضر بمصلحتهم أو يسيء إليهم ويمكن أن تتخذ الأمثال الشعبية مصدراً للتشريع والتقاضي وحسم النزاعات بين الأطراف المتصارعة، بل يمكن توظيفه في خدمة العديد من القضايا التي تهم المجتمع. وقد لجأت الكثير من المجتمعات إلي المثل الشعبي واهتدت به في المحاكم وإصدار الأحكام المناسبة في القضايا (لانكا) في جنوب أفريقيا والذي يعتمد على المثل الشعبي والمرافعة والاتهام وفي اتخاذ القرار بشأن القضايا المعروضة[١٧].

حاولت أن استشهد هنا بقصة أوردها محمد الهادي بشرى (... وقد روى لنا احد الرواة قصة القول يجري مجرى المثل (تلقاه في الدفوفة) فالدفوفة هي المكان الأثري المعروف في مدية كرمة وهي أصلاً مدافن لملوك كرمة و قد ساد اعتقاد قوي أن هذه المدافن تحتوي على الذهب والجواهر التي دفنت مع الملوك والحكام لكن فيما يبدو من المستحيل العثور على هذه الكنوز إما لأنها نهبت أو لأنها غير موجودة، من هنا جاء القول (تلقاه في الدفوفة) ويعني استحالة

الحصول على الشيء الذي تطلبه ونلاحظ عن هذه النماذج من المثل ما يجري مجرى المثل ارتباطها القوي ببيئة الجماعة التي ابتدعها فالمثل الثاني يعبر عن الزراعة خاصة النيلية التي هي اعتماد حياة الإنسان في الشمال عامة، والمحس خاصة. أما القول السائر الذي يشير لمقابر الدفوفة فهو يوظف موقعاً أثرياً يقع في قلب موطن المحس وهذه المدافن مثلها مثل أي موقع اثري تجسد في الذهن الشعبي مختلف التصورات تجدر الإشارة إلي أن جميع النماذج من المثل الشعبي وما يجري مجرى المثل ورد ذكرها ضمن مجموعة أمثال النوبة. ويمكن تلمس هذه النتائج المطابقات ضمن العديد من الأجناس الفلكورية خاصة في العديد من الأمثال الشعبية التي تطلعنا في هذا السياق والتي شكلت بعداً ثقافياً في المجتمعات الريفية أو البدائية إضافة إلي مجتمعات المدينة أو المتمدنة ومناطق الإنتاج الحديث بشكل عام.

يتميز أهل دارفور في غرب السودان بشغفهم باستخدام الأمثال الشعبية في حديثهم اليومي حيث يعتمدون عليها في بسط الحقائق ومناقشة القضايا والمشاكل التي يولونها اهتمامهم ويدعمون بها آرائهم وأقوالهم بحيث لا يخلو حديثهم من المثل إلا نادراً.

نماذج لبعض من الأمثال الشائعة والعامية:

الجاية من السماء تتلقاها الأرض.

ثلاثة امشي منهم غادي

زرع مقطاع (خلف) الوادي

وبندقية صنعها حدادي (سلاح ناري قام بصناعته صانع الحديد).

ومراه وليها قاضي (إمراة).

أيد على إيد تجدع بعيد.

ود البدري (ولد) سمين.

العلم في الصغر كالنقش في الحجر.

أسمع كلام الكبير ولو كان عوير.

أسمع كلام الببكيك ما تسمع كلام البضحك (البيضحكك).

الباب البجيب الريح سدو واستريح.

أحفظ مالك وما تخون جارك.

أهلك قبال تهلك.

وسفر بالأيد ما هو بعيد.

البخته الدردوب خلق بشرطه العود (كناية عن العواقب السيئة).

العيش ضل البيت (ظل) كناية على الإدخار (توفير الحبوب الذرة).

(البكوس بلقا) كناية على كثرة التجوال وما يلقاه الإنسان من فوائد ومتاعب وهذا ينطبق مع قول الإمام الشافعي حيث يقول سافر فإن في الاسفار خمس فوائد.

الحبل بتقطع من محل رقيق (رفيع) كناية على شدة الاهوال وكثرة المحن.

الموية لما تكمل البير قعرا (أسفل البئر) بنشاف كناية على كشف الحقائق ووضوحها.

الليل عقل الطير كناية على هدوء الليل وسكون الحركة فيه.

الرجال دناقر (أصول) ما كبر عناقر.

"حِلّة مما فيه عجوز بموت" حلماً ما وجدت الحلة يوجد بها كبار السن من العجزة واللذين توفى أجالهم (كناية على حدوث السنن الكونية للإنسان).

الراس ما كراس والرأس ما بشيل جرين (إنائين).

مد كرعينك قدر لحافك.

ركاب سرجين وقيع

القحة ولا صمة الخشم (كناية على التفاعل).

ثلاثة منهم أقيف:

سفر الخريف وأكل التفاتيف (عدم التقيد في الأكل بنظام الوجبات) وزواج بنت اللفيف (المتسرع في تصرفاته دون حكمه).

الما بدورك بحمر ليك في الضلام (كناية على كراهية الشخص لأخر).

الحساب ولد كناية على إيجاده عمل ما.

أكلوا أخوان واتحاسبوا تجار (كناية على عدم الخلط بين الأشياء).

فك الريق ولو بسم الدبيب (كناية على تناول الإنسان شيئاً ما أو تناول وجبة خفيفة أو مشرب قبل الخروج من المنزل باكراً).

إذا كترت عليك الهموم أتغطى ونوم (تعفي) وأرقد نوم (كناية على فقد الأمل واليأس).

الراجل بمسكو من لسانو، كناية على صدق القول والحنث باليمين.

الخال حنون (دلالة على صلة الرحم).

الحديد بدقو ساخن (دلالة على إنجاز العمل في الزمن أو الوقت المخصص له).

باقي البليلة حصحاص، كناية على عواقب الأمور.

الجمرة بتحرق الواطيها، كناية على تحمل المشاق.

الجنس الفولكلوري:

الأمثال المتعلقة بالمرأة في دارفور:

هنالك بعض الأمثال المتداولة حول شخصية المرأة ونجد أن تلك الأمثال تصور وضع المرأة وبعضاً من جوانب نشاطاتها وسلوكها في المجتمع وبالنظر إلي الدور العظيم الذي تلعبه المرأة في مجتمع دارفور والذي يفوق أحياناً الدور الذي يقوم به الرجل خاصته في مجال الإنتاج وبتحليل الأمثال التي تدور حول شخصيتها يمكن معرفة وجهة نظر المجتمع تجاهها وتبين الصورة التي يرسمها لها يجسد فيها ملامحها والتي تتطابق قد تتعارض مع صورتها الواقعية ودورها الحقيقي في الحياة.

فأما بالنسبة لوجهة النظر الاجتماعية الثقافية لمجتمع دارفور تجاه المرأة فهي نتاج للعناصر والمكونات الاجتماعية لثقافة ذلك المجتمع حيث أن مجتمع دارفور هجين من ناحية أثنية ثقافة وهو نتاج تلاقح العنصرين العربي الوافد والأفريقي المحلي وهو مجتمع بدوي تسوده وتغلب عليه الثقافة العربية الإسلامية الممزوجة في بعض جوانبها المحلية وبالتالي فهو مجتمع منحاز لفرض سلطة الرجل على المرأة ولاسيما أنه يحمل في قيمه بعضا من قيم المجتمع القديم الأمر الذي نتج عنه تغير وضع المرأة ومن ثم مكانتها، وبدأ ينظر إليها المجتمع نظرة متدنية عن الرجل ويتعامل معها بشدة وريبة وسواء في قدرتها العقلية او الجسدية أو في سلوكها وما يصدر عنها من تصرفات، ويعتبرها عاراً وشؤماً، ويعد وجودها سبباً في قلق أسرتها أو المجتمع ككل، ويرى ان خير وسيلة للتخلص منها وتفادي

شرورها هو الزواج يضرب في ذلك العديد من الأمثال الشعبية لتعزيز وجهة نظرة تجاهها من ذلك ما أورده سليمان يحي[١٩] عن بعض النماذج المثلية:

المرة (المرأة) خلقت من ضلعة عوجاء

المرأة كان (لو صارت) فاس ما بتكسر الراس

المرة قوتها في لسانها

ومرة ووليها مرة عميانين دقشو (تاهو في) خلا

البسمع رأي المرة، يرجع وراء.

وتقاطع راجلين في أول طريقك نعمة، تقاطع مرتين محنة، وجميلاً في الرجال تلقاه، وجميلاً في العوين (النساء) ألمي (الماء) خطا (أخطأ) مجراه.

والمرة والنار، مافيهن صغير

وما تامن العوين لو كان اتوضن وصلن.

وثلاثة ما ترفع عنهم العصا، النقارة (الطبل) والمرة والحمارة، والمرة كان قلت أدبها اضربها بي أختها (أي اتزوج عليها) وأفجغ البصلة قبال تبقى أصلة.

عناصر الجنس الفولكوري وازدواجية المظهر:

يعتبر الفولكور أس العملية التنموية وبالتالي فهو سلاح ذو حدين والمثل الشعبي يتسم بذات الطبيعة الازدواجية والتي تتبدى في مظهرين أحدهما: سلبي وهو ما يلزم العمل على تلافيه أو تغيره حتى لا يقف عائقاً في طريق التنمية والآخر: إيجابي وهو ما يستوجب دعمه وتوظيفه في مهمة إنجاح برامج وخطط التنمية... في توظيف المثل الشعبي في تنمية المرأة ويمكن ان تتخذ من مضمون

المثل الشعبي التي يشيد بدور المرأة شعاراً لبرامجها ومن ذلك الحديث الشريف (الجنة تحت أقدام الأمهات) والمثل الشعبي القائل (البي أمو ما بحرسوه) ومن الأمثال الشعبية ذات الطابع الإيجابي تلك التي تدعو بالاعتماد على الذات وتذكية روح التعاون وتقدير المنتج المحلي وغرس الروح الوطنية منها: (أم سلمبويت (فار صغير) ولا كدكاي (فار كبير) زول (شخص) والذي يعني أن القناعة بالقليل الذي يملكه الإنسان خير له من التطلع إلي الكثير الذي يملكه الآخرين، وكذلك المثل القائل وطني، ولا ملي (أمتلاء) بطني والذي يقدم خدمة الوطن كأولوية على خدمة البطن[٢٠].

دلالات المثل الشعبي في الحيوان:

نقصد بالحيوان هنا كل جنس من المملكة الحيوانية Animals Kingdom سواء كان مستأنساً أو متوحشاً Wild إذ أن الحيوان يشارك الإنسان بيئته الصغيرة والكبيرة كما هو الحال في بعض أنحاء السودان:

١. كرع البقر جيابة: والكراع في الإنسان لغة ما دون الركبة من مقدم الساق ومن الدواب ما دون الساق، ومن الدواب ما دون الكعب، وجيابة لغة تقطع الأرض ودراجاً بالشئ يُضرب لحث الناس على الانتفاع بالماشية باعتبارها مصدراً للثراء والوجاهة الاجتماعية.

٢. ألمي حار ولا لعب قعونج، القعونج الضفادع بالدارج، ألمي هو الماء بنطق أهل دارفور وكردفان، والمعنى أن الماء الحار ليس بالمكان المناسب لعيشة ولعب الضفادع يُضرب عند تجنب المشاكل.

٣. أم جركم ما بتاكل خريفين، أم جركم نوع من الجراد دوره حياتها تنتهي في خريف، واحد إشارة إلي دورة الحياة والرزق المقسوم.

٤. أبو القدح بيعرف محل بعضي أخيتا ويـن، أبو القدح هو السلحفاة (يقال لمن يعرف سر أخيه).

٥. قرون البقرة ما تقيلة عليها أو في رواية أخرى البقرة ما بتتعبي من قرونها ابتعي أي تصاب بالإعياء والمرض، مثل استخدامنا للكلمة (عيان) بمعنى مريض وقد إعتاد العرب في دارفور إضافة حرف الالف لكثير من الكلمات المماثلة يضرب المثل لمن يرفض قبول عذر القادر على حمل الشئ لكون هذا الشئ جزء منك لا تحس بثقله مثل البقرة التي لا تعجز أصلاً عن حمل قرونها.

٦. ركاب سرجين وقيع ومساك دربين ضهيب يضرب لحث الناس على تحديد الهدف والتركيز عليه.

٧. الكديسة غلبها تلحق الشرموط، قالت عفن، الكديسة هي القطة والشرموط هو اللحم الذي يحفظ بالتجفيف الهوائي (القديد) ويضرب لمن يعيب شيئاً صعب عليه.

٨. أم الكلب بعشوم البعشوم هو ابن أوى: يضرب لمن يتشابهون في الأصل والفصل.

٩. ضنب الكلب ما بنعدل، ويضرب عند اليأس من أمر حاول الناس إصلاحه، وفشلوا، الضنب (الذيل) في الحيوان عضو يمكن تحريكه في عدة اتجاهات وظيفته حفظ التوازن عند الحركة والدوران وطرد الحشرات ويمثل نهاية السلسلة الفقرية ويه سلسلة عظمية يستحيل تقويم ما يراه الناس إعوجاجاً فيها[٢١].

١٠. ضرب أسد ولا نظرة حسد، يضرب للدلالة على خطورة الحسد والتحذير منه.

١١. الفضيحة كلب تابع سيدو، أي تلازم فاعلها رضي أم أبى مثل الكلب الذي يتبع صاحبه أينما حل.

١٢. الدنيا تلدي بلا دره، أي أن الدنيا تلد المحن دون مقدمات والدرة هي مظاهر الجمل في الابقار وغيرها.

١٣. المرفعين بيتو لا بعيد ليهو أي أن بيتك مهما بعد تراه قريباً وحتماً تعود إليه كما يفعل المرفعين، وهو الضبع، وقريباً من ذلك المرفعين ما بيضهب (يتوه) من حجرة، تستخدم أكلات اللحوم حاسة الشم القوية لديها للاستدلال على مأواها)[٢٢].

خاتمة:

من خلال هذا المقال الذي وضعنا من خلاله مصادر المثل الشعبي وأنماطه الفولكورية ودلالات أدواره الوظيفية الهادفة من حيث المتعة والمحافظة على تجانس نسيجه السلوكي المقبول لدى المجتمع كالوظيفة الاجتماعية والوظيفية التعيمية وتثبيت كثير من القيم الإنسانية الكريمة كالكرم والشجاعة وحب الوطن وإغاثة الملهوف، والأخلاق الكريمة والعفة والقناعة والفخر كما أوردنا نماذج من الأمثال النابعة من البيئة وما حولها من أنشطة زراعية كانت أو رعوية لعبت دوراً مميزاً في تجانس وتنوع الثقافات من خلال الوضع الذي يشكل حياة المجتمعات في دارفور.

الهوامش:

(١) الطيب العشاري، وظائف الفولكور، مجلة وزا مركز تسجيل وتوثيق الحياة السودانية، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، العدد ١٦، الخرطوم، يونيو ٢٠١٠م، ص ٢٠.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) د. محمد المهدي بشرى، الفولكور السوداني، مقالات ودراسات، الطبعة الثانية، مكتبة الشريف الاكاديمية الخرطوم، ٢٠٠٦م،ص٥.

(٤)د. سليمان يحي محمد، توظيف المثل الشعبي في خدمة تنمية المرأة الريفية بدارفور، مجلة دراسات أفريقية، العدد ٢٤ جامعة أفريقيا العالمية الخرطوم، ٢٠٠٠م، ص ١٠٥

(٥)الطيب العشاري، وظائف الفولكور، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.

(٦)خالد محمد فرح، ملامح من فولكور المدينة في السودان، مجلة الثقافة السودانية، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، العدد ٢٩ الخرطوم، ديسمبر ٢٠٠٩م، ص ٩٩.

(٧) د.سليماني يحي، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٥.

* راجع محمد الجوهري، علم الفولكور، (دراسة الأنثروبولوجيا الثقافية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م.

(٨) الطيب العشاري وظائف الفولكور مرجع سبق ذكره، ص ٢٣

(٩) د. سليمان يحي، توظيف المثل الشعبي في خدمة المرأة الريفية بدارفور، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٥.

(١٠) الطيب العشاري، وظائف الفولكور الأدبي الشعبي، نموذجاً مرجع سبق ذكره، ص ٢٣.

(١١)أنظر د. محمد المهدي بشرى، تعليق حول مقال عبد الله الشيخ البشير، كتاب الفولكور السوداني الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م، ص ١٣١.

(١٢) سليمان يحي، توظيف المثل الشعبي في خدمة تنمية المرأة الريفية بدارفور، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٦.

(١٣) القرآن الكريم، سورة الكهف الآية، ٣٢

(١٤) القرآن الكريم، سورة البقرة الآية ٣٦

(١٥) عز الدين آدم بابكر، عض صور الحيوان في الأمثال الشعبية في دارفور، مجلة الدراسات السودانية، المجلد (١٤) الخرطوم أكتوبر، ٢٠٠٨م، الصفحات (١٠٨-١٠٩).

(١٦)أحمد عثمان فضيل، دلالة معاني بعض الألفاظ في لهجه الهبانية وعلاقتها بالعربية الفصحى والتنوع الثقافي كلية الأداب، قسم اللغة العربية جامعة الإمام المهدي ٢٠١٢م، الصفحات ٥-٦

(١٧) سليمان يحي، توظيف المثل الشعبي في خدمة تنمية المرأة الريفية بدارفور، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٨

** الدفوفة كلمة نوبية الأصل، وتعني البناء الضخم من الطين وقد عثر بداخلها العديد المخلفات الأثرية بالإضافة إلي طريقة بنائها حلقة جدل ونقاش بين العلماءفاختلفت آرائهم حول وظيفة الدفوفة وقد ذكر العالم وايزمان مكتشف الحضارة بأن الدفوفة الغربية عبارة عن المقر للحاكم الرئيسي الحاكم المصري ومنها يدير شئون إدارته وهذ لوجود المخلفات الأثرية بالدفوفة، أما

العالم هينذا Hinza بأن الدفوفة الغربية كانت المقر الرئيسي للحاكم النويب وليس للحاكم المصري لوجود المخلفات النوبية الأصل. أما الدفوفة الشرقية فعبارة عن غرفتين ضخمتين من الطوب الأخضر تقع بالجانب الشرقي من النيل تشمل على غرفة عديدة متصلة مع بعضها لابعض حيث رسمت على جدران الغرف العديد من الرسومات التي تحكي عن طبيعة عمل الإنسان والحيوان كما استخدم فيها الألوان المستجلبة من مصر لمزيد من الإحاطة أنظر، أمل ابو زيد، تاريخ الحضارة النوبية.

(١٨) محمد المهدي بشرى، الفولكور السوداني، مرجع سبق ذكره، ص٦٤.

(١٩) سليمان يحي، توظيف المثل الشعبي في خدمة تنمية المرأة الريفية بدارفور، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٩.

(٢٠) نفس المرجع، ص ١٤.

(٢١) عز الدين آدم بابكر بعض صور الحيوان في الأمثال الشعبية في دارفور، مرجع سبق ذكره، ص ١١٣.

(٢٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٢٣) المرجع نفسه، ص ١١٦.